**داود**

**النبى والملك**

**مقدمة**

شخصية داود النبي مدرسة عجيبة جدًا في كثير من الأمور, فإن كنا نقرأ عن سير قديسين في العهد القديم وفي العهد الجديد، لكن شخصية داود يقف أمامها الإنسان مبهورًا. ربما يعترض أحدكم قائلاً: وماذا عن خطيته التى أخطأها؟!

لكن ليس حسنًا أن نركز ذهننا في موضوع خطيئة داود التى أخطأ بها وتاب عنها، فلم تكن كل حياة داود هي هذا الخطأ الذي ذكره الكتاب المقدس.

لقد اختار الرب داود لأن قلبه كان يحب الله بصورة عجيبة جدًا... إن الهدف فى حياتنا هو مقدار المحبة فى قلوبنا، فإن كنا نجاهد فى صوم وفى صلاة وفى عبادات، كل هذا يؤدى إلى هدف واحد هو أن يمتلىء القلب بمحبة الله، فالهدف من كل شىء نصنعه فى حياتنا مع الله هو أن نترك فرصة للحب الإلهى أن يسكن ويملأ القلب.

وسوف يعيش الإنسان معذباً فى صراع مع الخطية إلى أن تدخل محبة الله وتملأ قلبه، فليست علاقتنا مع الله مجرد ممارسات وعبادات وفروض. فمهما مارس الإنسان من العبادة ولم تكن فى قلبه محبة الله فإنه إن دخل إلى قلبه أى حب آخر فسوف يسبيه بعيداً عن الحياة مع الله.

فإن كان داود النبى قد أخطأ، ولكن لأن محبته لله كانت قوية جدًا فإنه لم يحتمل أن يبقى فى الخطية. وكانت دموع التوبة كأنهار غزيرة.. ليست المسألة إن كان الإنسان قد أخطأ أو لم يخطىء. لكن المسألة هى: هل قلبه ممتلىء بمحبة الله أم لا؟. الإنسان الذى يمتلىء قلبه بمحبة الله لا يفقد علاقته بالروح القدس... علامة محبتنا لله إننا إذا أخطأنا نسرع إليه ونتوب...

وسوف لا نتعرض فى هذا الكتاب لخطية داود وتوابعها التى تاب عنها والتى احتمل بسببها متاعب كثيرة لأن هذه المسألة تحتاج إلى كتاب خاص بعنوان "داود الملك التائب". ربما نتمكن من إصداره فى وقت لاحق إذا سمحت مشيئة الرب.

أما عن شخصية داود فهى فى الحقيقة شخصية يقف أمامها الإنسان مبهورًا، وسوف نستعرض معًا بعضًا من لمحات فى حياة داود لنعرف كم تكون هذه الشهادة هى حق... هذا الرجل هو شخص عجيب يندر أن يوجد مثله إنسان على الأرض!!

ولا يفوتنا أن ننوه أن لقداسة البابا شنودة الثالث –أطال الرب حياته- تأملات كثيرة عميقة عن شخصية داود النبى وحياته.. الرب ينفعنا ببركة صلوات قداسة البابا.

**بيشوى**

**مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى**

**ورئيس دير القديسة دميانة**

**مسح داود ملكًا**

كان لداود أخوة أكبر منه، وطلب الله من صموئيل أن يذهب ليختار من أولاد يسى البيتلحمى واحدًا ويمسحه ملكًا هكذا قال له الرب: "امْلأ قَرْنَكَ دُهْنًا وَتَعَالَ أُرْسِلْكَ إِلَى يَسَّى الْبَيْتَلَحْمِيِّ، لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ لِي فِي بَنِيهِ مَلِكًا" (1صم16: 1)، كان لداود سبعة إخوة وهو الثامن؛ فهو أصغرهم، ولما ذهب صموئيل إلى بيت لحم طلب من يسى أن يحضر أولاده، فنسى يسى داود لأنه قال إن داود مازال صغيرًا وليس من المعقول أن يختاره الله ملكًا.

كان إخوة داود الكبار جبابرة بأس؛ فمنهم من يجيد ضرب السيف، ومنهم من هو متقدم فى ضرب الرمح، ومن له جسم قوى وعضلات مفتولة، كل واحد فيهم ينظر إليه أبوه على أنه يصلح أن يكون ملكًا لسبب من الأسباب، أحدهم شخصيته قوية، وآخر عنده شجاعة، آخر يجيد ركوب الفرس.. سبعة أولاد كل واحد فيهم يرى أبوه فيه أنه يصلح أن يكون ملكًا من زاوية ما.

**ليس كما ينظر الإنسان**

بعد أن قدّم صموئيل الذبيحة لله، مثلما نرفع صلاة القداس الإلهى لنختار كاهنًا أو نختار شمامسة، ومن فوق المذبح نعرف اختيار الله. قدّم صموئيل الذبيحة للرب، ووقف أولاد يسى أمامه، فأحضر يسى لصموئيل أولاً ابنه البكر، ورأى صموئيل الابن الأول أليآب ذا هيئة حسنة، طويل ومنظره مهيب.

فقال صموئيل إن أمام الرب مسيحه، وأشار على أليآب الذى وقف فى زهو، فكلم الرب صموئيل وقال له إنك يا صموئيل ترى حسب نظرتك أنت، أنت تنظر المنظر الخارجى فقط، أما أنا فلا يعنينى المنظر الخارجى، أنا يهمنى القلب من الداخل، هكذا يقول الكتاب:

"فَقَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: لاَ تَنْظُرْ إِلَى مَنْظَرِهِ وَطُولِ قَامَتِهِ لأَنِّي قَدْ رَفَضْتُهُ. لأَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَنْظُرُ الإنْسَانُ. لأَنَّ الإنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ" (1صم16: 7).

فطلب صموئيل من يسى أن يأتى بابنه الثانى، فأوقفه أمامه ولكن أيضًا لم يختَره الرب، وهكذا عبّر يسى أولاده الواحد تلو الآخر سبعة أبناء عبروا أمام صموئيل، أمر يحير!**!**

مر البنون كلُّهم ولم يختَر الرب منهم أحدًا!! ولا يوجد فى البيت بنون بعد!! لدرجة أن صموئيل ظن إنه لن ينجح فى مأموريته!! ثم عاد يراجع نفسه ربما نسى يسى أحد البنين، فسأله: يا يسى هل كملوا الغلمان، ألم يوجد أحد آخر فى مكان آخر هنا أو هناك؟!

وهنا تذكّر يسى وقال له: نعم، هناك غلام صغير يرعى الغنم فى الحقل، فقال صموئيل فى نفسه هذا هو آخر أمل، لكن لعله يصلح ولا يُرفَض مثل باقى إخوته. وطلب من يسى أن يرسل ليأتى به، تعجب يسى كيف يمكن لشاب صغير السن أن يصلح ليكون ملكًا!! فقال له صموئيل لترسل وتأتى به فقط والرب هو الذى يختار لنفسه من يريد.

**قم امسحه لأن هذا هو**

أرسل يسى الغلمان ليأتوا بداود، فوجدوه يرعى الغنم ماسكًا مزماره يعزف على المزمار والقيثارة، وبينما إخوته فى البيت كل واحد فيهم يريد أن يصير ملكًا، كان داود لا يفكر فى هذا الأمر إطلاقًا، كان داود يفكر فى حياة الهذيذ والتأمل، يسبح الله بالمزامير، مع محبته واهتمامه بتلك الغنيمات الصغيرة التى له.

أرسل يسى وجاءوا بداود، أتى داود متعجبًا ماذا يريدون منه فى هذا الوقت؟! ولم يكن يعلم أن الرب قد اختاره ليصير ملكًا على شعبه؛ هكذا يقول الكتاب:"فَأَرْسَلَ وَأَتَى بِهِ. وَكَانَ أَشْقَرَ مَعَ حَلاَوَةِ الْعَيْنَيْنِ وَحَسَنَالْمَنْظَرِ. فَقَالَ الرَّبُّ: قُمِ امْسَحْهُ لأَنَّ هَذَا هُوَ" (1صم16 :12).

فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصبها على رأسه، ومسحه فى وسط إخوته، ياللعجب!! وسط إخوته الذين أراد كل منهم أن يكون الملك. مُسح داود وسطهم، مثل العروس التى فى زفافها بثياب العرس وسط إخوتها الصغار الذين يقفون حولها، هكذا وقف إخوته حوله، وهو الصغير فى وسطهم. أين رجال العضلات والبطولة والشهامة والفروسية، كل هذا ليس له قيمة عند الرب. كلهم واقفون حوله كالحاشية، وداود هو الملك فى وسطهم.

هذا هو داود، هذا من يريد الله أن يكرمه، عندما يريد الله أن يكرم أحدًا لا تكون طريقته مثل طريقة العالم... فليتبكت أولئك الذين كل همهم فى المظاهر العالمية، والمجد العالمى، ويا لخجلهم فى السماء عندما يرون الذين كانت قلوبهم متقدة بمحبة الله، فإنهم سوف يقفون مثل الجوارى أو الوصيفات حول النفس التى عرفت أن تجعل قلبها مسكنًا للروح القدس. الله ينظر إلى القلب، لكن الإنسان ينظر إلى العينين، أنت لا ترى إلا المنظر الخارجى.

**وحل روح الرب عليه**

حل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدًا، صار الروح القدس مثل المظلة الروحانية تحيط بداود النبى وتظلله. حل عليه روح القوة، روح المشورة والحكمة، أمر عجيب جدًا!! فإذا كان هناك إنسان يصاحبه ملاك مثلاً، أو أن ملاكًا يسير جانبه، ويسأله فى كل أموره ويحفظه فى كل خطواته، كم يكون هذا الإنسان عظيمًا؟! فكم بالأحرى إذا كان الذى يصاحب الإنسان هو روح الله؟!

ولماذا حل عليه روح الرب؟ حل عليه ليجعله قائدًا ومدبرًا وملكًا وحاميًا وقاضيًا لشعبه.

**لماذا اختار الرب داود؟**

لماذا اختار الرب داود الفتى الصغير الذى كان مع الغنيمات؟ اختار الرب داود لأن قلب داود كان يحب الله بصورة عجيبة جدًا، لدرجة إن روح الله كان هو نفسه يشتاق أن يأتى ويحل على داود!! مثلما يقول المزمور عن النفس التى تحب الله مثل مريم العذراء القديسة "اِسْمَعِي يَا بِنْتُ وَانْظُرِي وَأَمِيلِي أُذْنَكِ وَانْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ. **فَيَشْتَهِيَ الْمَلِكُ حُسْنَكِ** لأَنَّهُ هُوَ سَيِّدُكِ فَاسْجُدِي لَهُ" (مز44: 10، 11).

بعد أن انتهى صموئيل النبى من مسح داود ملكًا، وانتهى الحفل الذى أقامه صموئيل، بعد أن قدم الذبيحة ومسح داود ملكًا وسط إخوته الذين كانوا متعجبين، كيف رفضهم الرب بينما اختار ذلك الصبى الصغير للمُلك!!

ولم يجلس داود على العرش، ولم يتسلط على إخوته أو يلزمهم بالخضوع له كملك، إنما فى إتضاع أخذ جرابه وعصاه وخرج إلى الحقل حيث غنيماته الصغيرة، وإخوته ينظرون إليه فى تعجب أين الملك؟!! ورجع داود لغنيماته فى الحقل وكأن شيئًا لم يحدث!!

**فى حربه مع جليات**

ضرب البوق، وأُعلنت الحرب، وجمعوا الرجال الأشداء، أما داود فلم يلتفت إليه أحد أو يعتبره. أخذوا إخوته الكبار للجيش، فلبسوا ملابس الجندية ونظروا إلى داود باحتقار، فمن هو داود هذا الشاب الصغير لكى يصلح للحرب.

**افتقد سلامة إخوتك**

كان جليات الجبار الوثنى الفلسطينى يتقدم ويقف صباحًا ومساءً أربعين يومًا. فقال يسى لداود ابنه خذ لإخوتك بعضًا من الطعام وافتقد سلامة إخوتك. وكان شاول وهم وجميع رجال اسرائيل فى وادى البطم يحاربون الفلسطينيين، فذهب داود إلى هناك ولما رآه أخوه الأكبر أليآب قال له لماذا نزلت، قال له إن أبى أرسلنى ببعض الأطعمة لكم ولرئيس الألف وأعطاه إياها.

وبعد ذلك رأى داود جليات الفلسطينى صاعدًا من صفوف الفلسطينيين يزأر مثل الأسد، وقال لهم اختاروا لأنفسكم رجلاً ولينزل إلىَّ، فإن قدر أن يحاربنى ويقتلنى نصير لكم عبيدًا، وإن قدرت أنا عليه وقتلته تصيرون أنتم لنا عبيدًا وتخدموننا.

التفت داود حوله وجد أن الجنود مرتعبون وخائفون، فكلم داود الرجال الواقفين معه قائلاً ماذا يُفعَل للرجل الذى يقتل ذلك الفلسطينى ويزيل العار عن اسرائيل، أجابوه وقالوا له إن الرجل الذى يقتله يغنيه الملك غنى جزيلاً ويعطيه ابنته زوجةً، ويجعل بيت أبيه حرًا فى اسرائيل.

**ماذا عملت؟ أما هو كلام؟**

سمع أليآب كلام داود مع الرجال فحمى غضب أليآب على داود. فأمسكه وانتهره وقال له ماذا تقول؟! هل تذهب أنت لتقاتل جليات؟! لماذا نزلت وعلى من تركت تلك الغنيمات القليلة فى البرية، ارجع لغنيماتك واعرف إنك صغير. أجابه داود: ماذا عملت أما هو كلام؟ فقال له أليآب: أنا علمت كبرياءك وشر قلبك لأنك إنما نزلت لكى ترى الحرب، وتظن فى نفسك إنك تستطيع أن تحارب!

أما داود هذا الإنسان الممسوح ملكًا والممتلىء من روح الله. هذا المتواضع القلب، فلم يغضب من كلام أخيه. كان أقل شىء فى تصورى عندما قال أليآب هذا لداود؛ إنه كان من الممكن أن يعاتبه داود قائلاً: لا يصح يا أليآب أن تعاملنى بهذا الاحتقار، هل نسيت أن صموئيل النبى مسحنى ملكًا قدامك؟!. لكن فى الحقيقة إن داود لم يكن لديه وقتٌ يضيعه فى هذه المشاحنة، أو أن يدخل مع أخيه فى معركة جانبية كلامية إذ كانت أمامه المعركة الأساسية أن ينتصر على عدو الله الحقيقى.

من أجل هذا فإن الإنسان الذى يسعى من أجل خلاص نفسه وخلاص الآخرين يعرف عدوه الحقيقى الذى هو الشيطان، فليس له عدو من البشر الضعفاء الذين من الممكن أن يخطئوا. لكن القصد الأساسى هو الصراع مع إبليس جليات الحقيقى هذا هو العدو الخفى.

**احتدت روحه فيه**

بدأ الروح القدس الذى فى داود يتحرك، قال للرجال الواقفين حوله أنا أشتاق أن آخذ هذه المكافأت التى تقولون عنها.. ماذا يا داود؟! كيف ذلك وأنت مازلت شابًا صغيرًا أشقر مع حلاوة العينين. أجاب: كلا.. من هو هذا الفلسطينى الأغلف حتى يعيّر صفوف الله الحى؟! إذ أكلته الغيرة المقدسة. وكان يقول هذا ليس لإشتهائه المكافأة، لكن ليشعل حرارة الغيرة المقدسة فى نفوس المحيطين ويبث فى الجنود الحماس للتقدم، وكان كما أراد إذ تهلل الجند عندما سمعوا مثل هذا الكلام وأخبروا الملك به.

بدأ الروح القدس الذى فيه يتحرك، مثلما حدث لبولس الرسول عندما دخل أثينا فوجد المدينة كلها مملوءة أصنامًا (أع17)، ما معنى أصنام؟ أى آلهة على هيئة تماثيل، إله للحرب، وإله للجمال، وإله للحب، وإله للخير، وإله للعواصف، وهذا معبد الإله فلان، وذاك معبد الإله فلان، وهذا له شعبه، وآخر له رواده، الآلهة تزدحم بها المدينة وهذا الشعب الذى خلقه الله لا يعرف الله!

فاحتدت روحه فيه، التهب قلبه من الداخل.. لماذا؟ لأنه كان مملوءًا من الروح القدس. أين الله فى وسط هؤلاء الناس؟ قليلون من يلتهب قلبهم من أجل محبة الله، هكذا كان داود يحب الله ويغير غيرة مقدسة.

وإن كان داود أمام احتقار الآخرين لم يبالِ، ومن إزدرائهم لم يعبأ، عندما احتقروه كملك لم يهمه شيئًا. وإذ لم يعتبره أحد، ولم يعطوه حقوق الملك فلم يهتم. إنما بالنسبة لما يتعلق بالله ومجده.. حاشا، لن يقف صامتًا، فمن هذا الذى يعيّر صفوف الله الحى؟!..

**قلب اختاره الله ليسكن فيه**

من هذا ندرك لماذا استمر التعيير فى المحلة؟ ذلك لأن داود لم يكُن حاضرًا، وبقى العار قائمًا إلى أن وصل داود إلى المحلة، لماذا؟ لأن محبة داود لله، وغيرة داود من أجل الله هى التى بها استطاع أن ينزع العار عن إسرائيل... هذا هو معنى الكلمة التى ذكرناها سابقًا إن الروح القدس اشتهى أن يسكن فى قلب داود، حقًا كما قال الكتاب عن النفس التى تتشبه بنفس العذراء القديسة مريم: **"لأَنَّ الرَّبَّ قَدِ اخْتَارَ صِهْيَوْنَ. اشْتَهَاهَا مَسْكَنًا لَهُ. هَذِهِ هِيَ رَاحَتِي إِلَى الأَبَدِ. هَهُنَا أَسْكُنُ لأَنِّي اشْتَهَيْتُهَا"** (مز132: 13، 14).

وكأن الله يقول له: أنا قد اخترتك يا داود، واخترت قلبك لأسكن فيه، وكذلك داود يصلى ويقول لله: "َرُوحَكَ الْقُدُّوسَ لاَ تَنْزِعْهُ مِنِّي" (مز51: 11)، فهو يعرف قيمة الروح القدس الساكن فيه، يعرف أن الروح القدس يشتاق أن يسكن فى هذا القلب الذى كان مملوءًا بمحبة الله.

**شركة الروح القدس**

لكى تدوم سكنى الروح القدس فى الإنسان إلى الأبد، لابد أن تتوفر المسببات التى تؤدى إليه؛ فالروح القدس فيما يشتاق إلى قلب الإنسان، يشتاق هذا القلب إلى سكنى الروح القدس، فيدخلان فى شركة مع بعضهما البعض، مثل اثنين يحب أحدهما الآخر. لا يصح أن يكون الحب من طرف واحد لكى تدوم الشركة بينهما. ولذلك فى الزواج نقول عن الطرف الآخر إنه شريك الحياة. ويمنح الكاهن البركة للشعب فى القداس الإلهى قائلاً: }شركة وموهبة وعطية الروح القدس تكون معكم{.

**مع الأسد والدب**

سمع شاول الملك ودعا داود، فدخل داود قدام الملك فقال له شاول لا تستطيع أن تذهب لهذا الفلسطينى لتحاربه لأنك غلام وهو رجل حرب منذ صباه. قال له داود: عبدك كان يرعى الغنم وخرج أسد ودب وخطف إحدى الغنيمات، فخرجت بنعمة الرب وقوته وقتلت الأسد والدب وخلصتها من فمهما. وهذا الفلسطينى الأغلف يكون كواحد منها وسوف يدفعه الرب بيدى فى هذا اليوم. "وَقَالَ دَاوُدُ: الرَّبُّ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ يَدِ الأَسَدِ وَمِنْ يَدِ الدُّبِّ هُوَ يُنْقِذُنِي مِنْ يَدِ هَذَا الْفِلِسْطِينِيِّ" (1صم17: 36).

تعجب الملك وصار مذهولاً إذ لم يرَ أحدًا فى مثل هذه الجرأة، وأبصر فى عينى داود الثقة والإيمان، فقال له مبارك يا ابنى ليكن لك كما تريد، أنا لا أقدر أن أمنعك مادام لديك كل هذا الإيمان؛ لا أقدر أن أمنعك أن تحارب حروب الرب اذهب وليكن الرب معك.

ثم قال له شاول: انتظر لتلبس ثياب الحرب التى لى لئلا يفتك بك هذا الجبار، وألبس شاول داود ثيابه وجعل خوذة من نحاس على رأسه وألبسه درعًا. فتقلد داود بسيفه فوق ثيابه وعزم أن يمشى لأنه لم يكن قد جرب، ولكنه لم يتمكن. فقال داود لشاول أرجوك يا سيدى الملك لا أقدر أن أمشى بهذه لأنى لم أجربها، ليتك تتركنى أحارب بالطريقة التى اعتدت عليها فوافقه الملك.

**أنا آتِ باسم رب الجنود**

نزع داود عنه الدرع والخوذة وثياب الحرب، وأخذ عصاه بيده وانتخب له خمسة حجارة ملس من الوادى وجعلها فى كنف الرعاة الذى له أى فى الجراب ومقلاعه بيده وتقدم نحو الفلسطينى.

ولما نظر الفلسطينى ورأى داود استحقره لأنه كان غلامًا وأشقر جميل المنظر. فقال الفلسطينى لداود ألعلى أنا كلب حتى إنك تأتى إلىَّ بعصى ولعن الفلسطينى داود بآلهته.

فقال داود لجليات: "أَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ بِسَيْفٍ وَبِرُمْحٍ وَبِتُرْسٍ. وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ بِاسْمِ رَبِّ الْجُنُودِ إِلَهِ صُفُوفِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ عَيَّرْتَهُمْ. هَذَا الْيَوْمَ يَحْبِسُكَ الرَّبُّ فِي يَدِي فَأَقْتُلُكَ وَأَقْطَعُ رَأْسَكَ. وَأُعْطِي جُثَثَ جَيْشِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ هَذَا الْيَوْمَ لِطُيُورِ السَّمَاءِ وَحَيَوَانَاتِ الأَرْضِ. فَتَعْلَمُ كُلُّ الأَرْضِ أَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ لإِسْرَائِيلَ" (1صم17: 45، 46).

**فتمكن داود من الفلسطيني!!**

"فَتَمَكَّنَ دَاوُدُ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّ بِالْمِقْلاَعِ وَالْحَجَرِ، وَضَرَبَ الْفِلِسْطِينِيَّ وَقَتَلَهُ. وَلَمْ يَكُنْ سَيْفٌ بِيَدِ دَاوُدَ. فَرَكَضَ دَاوُدُ وَوَقَفَ عَلَى الْفِلِسْطِينِيِّ وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَاخْتَرَطَهُ مِنْ غِمْدِهِ وَقَتَلَهُوَقَطَعَ بِهِ رَأْسَهُ. فَلَمَّا رَأَى الْفِلِسْطِينِيُّونَ أَنَّ جَبَّارَهُمْ قَدْ مَاتَ هَرَبُوا" (1صم17: 50، 51).

ليتنا كنا فى ذلك اليوم الذى انتصر فيه داود على جليات.. وماذا عن أليآب فى هذه اللحظات، ماذا كان حاله وهو يرى داود الصغير يحمل رأس جليات فى يده؟! لنقف ولو إلى دقائق نتأمل ذلك المنظر العجيب!!

**انظروا لا تحتقروا هؤلاء الصغار**

هذا يعلمنا أن لا نحتقر أى صغير، ولا نستخف بأحد مهما كان صغيرًا. فمن هم صغار فى أعيننا ربما يكونون جبابرة بأس يستطيع الرب أن يصنع بهم عجبًا... من الممكن أن يكون طفل صغير فى مدارس التربية الكنسية عنده ثقة فى الله وعنده حب شديد للسيد المسيح، يمكنه أن يحرك قلب الله فيتحنن على مدينة بأكملها!!

كان قداسة البابا شنوده الثالث –أدام الله حياة قداسته- فى سنة 1972 أو 1977م يصلى قداسات بعد الظهر وأوصى بصوم لأجل مواضيع ومشاكل. فكان قداسته يصلى القداس كل يوم ويبدأ حوالى الساعة الرابعة أو الخامسة مساءً، وينتهى حوالى السابعة والنصف مساءً. ويكون الظلام قد حل لأنها كانت أيام خريف وشتاء. كنا نرى أطفال صغار شمامسة يحضرون فى القداس، والكنيسة الكاتدرائية فى القاهرة كانت مزدحمة لآخرها.

وهنا كلمنى قداسته قائلاً: }لو ما كانش علشان البابا والأساقفة والإكليروس وكل الشعب ده كله، إن ماكانش ربنا يستجيب عشان دول كلهم أقل ما فيها علشان الأطفال الصغيرين دول اللى جايين يصوموا معانا للساعة سبعة ونصف بالليل، وهما مش عارفين احنا صائمين ليه، لكن جايين يشاركوا الكنيسة بروح الحب والوفاء والإخلاص{ قال لى: }من أجل هؤلاء الأطفال ممكن أن يستجيب الله..{. وأستطيع أن أقول إن الله قد استجاب فعلاً.

لا يصح أن نستخف أو نحتقر أحدًا من الصغار، بمعنى إن كنت فى مشكلة أطلب من أولادك الصغار أن يصلوا من أجلها. إن كانت مشكلة صعبة، جيد أن توصى الأسقف وتوصى الكاهن، لكن إن طلبت من ابنتك الصغيرة أن تصلى معك وأنت واثق أن الله من أجل قلب نقى سليم مثل هذا يصنع عجبًا... فإن الله يستجيب!. لا تستخف بأقل إنسان فى الكنيسة.

من أجل ذلك الكنيسة تعلّم الشعب كله أن يصلّوا... يصلّوا باستمرار. فى كل مرة يقول الشماس: صلّوا من أجل رئيس كهنتنا البابا الأنبا شنودة الثالث... لماذا يقول الشماس صلّوا من أجل رئيس كهنتنا؟! هل هى مجرد نغمات حلوة أو تتميم لطقس القداس فقط؟ أو هى تكريمًا للبابا أو للأسقف؟ لماذا تقال هذه الطلبة؟ ليس فقط لأن الكتاب المقدس أوصانا أن نصلى "فَأَطْلُبُ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ أنْ تُقَامَ طِلْبَاتٌ وَصَلَوَاتٌ وَابْتِهَالاَتٌ وَتَشَكُّرَاتٌ لأَجْلِ جَمِيعِ النَّاسِ، لأَجْلِ الْمُلُوكِ وَجَمِيعِ الَّذِينَ هُمْ فِي مَنْصِبٍ، لِكَيْ نَقْضِيَ حَيَاةً مُطْمَئِنَّةً هَادِئَةً فِي كُلِّ تَقْوَى وَوَقَارٍ" (1تى2: 1، 2)، ولكن أيضًا لأن الرعاة محتاجون لصلاة الرعية. محتاجون لصلاة كل إنسان. والكنيسة لا تصلى فقط من أجل البابا والأساقفة إنما يصرخ الشماس أيضًا ويقول: صلوا من أجل الإنجيل المقدس!.. أى من أجل انتشار بشارة الخلاص بالإنجيل.

**مع شاول الملك**

موقف آخر من حياة داود، جبار البأس هذا الذى خرج ليقاتل جليات الفلسطينى الوثنى وقطع رأسه. فى يوم المعركة معه، وانتصار داود عليه، صنع الرب خلاصًا عظيمًا بواسطة داود. وفرح شاول فى بدء الأمر، لأنه كان كقائد للجيش يواجه خطرًا شديدًا جدًا من جيش الفلسطينيين.

لكن فى رجوعهم من المعركة منتصرين، استقبلتهم النسوة اللاتى كن يغنين قائلات: "ضَرَبَ شَاوُلُ أُلُوفَهُ وَدَاوُدُ رَبَوَاتِهِ" (1صم18: 7)، فتذكر شاول وقال فى نفسه إن داود هو الشخص الذى قال عنه صموئيل النبى إن الرب يعطيه المُلك عوضًا عنى، فبدأ قلب شاول يتغير من ناحية داود بعدما كان مسرورًا به أولاً.

ولم يفكر شاول فى فضل داود عليه؛ وكيف كان يهدأ ويستريح من الروح الشرير عندما كان داود يضرب على القيثارة، لم يفكر أن هذا هو داود الشخص الوحيد فى كل بنى إسرائيل الذى استطاع أن ينتصر على جليات، لم يفكر أن هذا هو داود الذى ألبسه ملابس الحرب التى له لكى ينزل ويقاتل جليات ولو أنه لم يستعملها، لم يفكر أن هذا هو داود الذى تعلقت نفس ابنه يوناثان بنفسه وأعطاه سلاحه ورداءه الملوكى... هذا الإنسان هو الشخص الذى سبق الرب وأعلمه به. لكن للأسف حاول شاول الملك مرات عديدة أن يقتل داود!!

**من يقدر أن يقاوم مشيئته؟!**

كيف يكون هذا يا شاول، وقد عرفت أن هذا هو الذى اختاره الرب.. أتريد أن تقتله.. كيف ذلك إن كان الله قد اختاره وعيّنه ليكون ملكًا؟!. فإن كنت تريد أن تقتله؛ هذا يعنى أنك تفترض أن إرادتك أقوى من إرادة الله، وهذا نوعٌ من الحماقة الشديدة "لأَنْ مَنْ يُقَاوِمُ مَشِيئَتَهُ؟" (رو9: 19).

فى حماقته ظن أنه سوف ينتصر.. وهكذا يفعل الشيطان. فالشيطان يعرف جيدًا أن الله أقوى منه، ومع ذلك لا يكف عن أن يقاوم عمل الله!! الشيطان يعرف أن الله لابد أن يأخذ الجولة الأخيرة، ومع ذلك أيضًا يحارب الله!! الشيطان يعرف أن السيد المسيح يعمل بقوة إلهية؛ ومع ذلك يحاول أن يصلبه ويتخلص منه؛ لأن السيد المسيح أخفى لاهوته عن الشيطان إذ أخلى نفسه مخفيًا مجده الإلهى المنظور!! هذا هو أسلوب الشيطان وأسلوب أولاده الصانعين مشيئته.

هذا ما رأيناه أيضًا فى هيرودس الملك الذى إذ سمع أن المسيح قد وُلد، وجاء المجوس وقالوا "أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟.." (انظر مت2: 2- 8)، وافتكر هيرودس بحماقته أنه يستطيع أن يتخلص منه رغم النبوات المسجَّلة فى الكتب التى أخبره عنها من سألهم!! هل يستطيع أن يغيِّر التدبير الإلهى من أجل خلاص البشرية؟!

**لتكن مشيئتك**

ليتنا نأخذ درسًا من موقف شاول الملك، إننا عندما نتأكد من إرادة الله فى أمر ما، وأن هذه هى مشيئته، لا نحاول أن نقاوم، لأن من يقدر أن يقاوم مشيئته؟

إن وافقنا مشيئته سوف نأخذ بركة ونعمة ورضى، وإذا قاومنا مشيئته سوف نحصد الندم والمرار والحسرة، نفس المرارة والحسرة التى حصدها شاول الملك، يوم أن قُتل فى معركة على جبل جلبوع، وصار داود من بعده ملكًا. ونفس الحسرة التى شعر بها هيرودس عند موته بعدما قتل أطفال بيت لحم. ومن بعده هيرودس الصغير الذى قطع رأس يوحنا المعمدان بغواية شريرة.

بل نفس الحسرة التى صارت للشيطان لما صلب السيد المسيح، ثم وجد نفسه أصبح مربوطًا ومقيّدًا وأسيرًا بين يدى ذلك الجبار الذي داس الموت وانتصر عليه، وقيده وأنهى سلطانه، "إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ" (كو2: 15) أى فى الصليب. لا تحاول أن تقاوم إرادة الله، فلتكن حكيمًا وافهم أنه عندما يقول الله كلمة لابد أن تُجرى، والأحرى بك أن تقول "**لتكن مشيئتك".**

**ينبغى أن ذلك يزيد وأنى أنا أنقص!!**

لما عرف داود أن شاول ينوى على قتله قرر أن يهرب. أما يوناثان ابن شاول فقد كان يحب داود جدًا ويدافع عنه ويقول لأبيه: إن داود يحبك وليس فيه أى عيب لماذا تريد أن تقتله. واغتاظ شاول من ابنه يوناثان وشتمه وشتم أمه وقال له أنت اليوم تدافع عن داود وهو سوف يأخذ منك المملكة.

انظروا كيف أن يوناثان يمثل الصديق المخلص المحب. شاول أبوه يريد أن يقتل داود ليكون هو الملك وليصير المُلك ليوناثان من بعده. ويوناثان يقف ضد أبيه شاول متنازلاً عن المُلك محبة لداود. شتّان بين الاثنين: أحدهما يريد أن يقتل داود لكى يستحوز على المُلك له ولنسله من بعده. والآخر يدافع عن داود متنازلاً عن المُلك ولسان حاله يقول "يَنْبَغِي أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ" (يو3: 30).

**صديق ألصق من الأخ**

جاء يوناثان إلى داود وقال له أبى يريد أنك تأتى لتحضر الحفل الذى يقيمه فى رأس كل شهر، وقد وعدنى أنه لن يصنع بك أى شر. قال له داود: إن أباك قد علم أنى وجدت نعمة فى عينيك فقال فى نفسه لا يعلم يوناثان هذا لئلا يغتم.

وقال داود ليوناثان إذا افتقدنى أبوك وسألك عنى، قل له قد طلب منى داود أن يذهب إلى بيت لحم مدينته لأن هناك ذبيحة سنوية لكل العشيرة. فإن سكت ولم يحتد نعلم أن لى سلام ولن يعمل لى شرًا فيمكننى الحضور. لكن إن اغتاظ غيظًا فأعلم أنه قد أُعد الشر عنده. فتعمل معروفًا معى وتخبرنى.

وأعطى يوناثان لداود علامة بينهما لكى يخبره، فقال أنا أرمى السهام كأنى أرمى غرضًا، ثم أرسل الغلام ليلتقطها، فإن قلت له هوذا السهام خذها وتعالَ، علمت أنه سلام فتأتى إلى الوليمة، وإن قلت للغلام اصعد واذهب، علمت أن الشر أُعد لك فانطلق واهرب... وغضب شاول عندما علم أن داود لن يحضر الحفل وثار، وإذ علم داود هرب.

هكذا إذ بدأ شاول يعلن الحرب ضد داود، اضطر داود -الذى مُسح ملكًا من قبل الرب- أن يهرب.

**داود عند أخيمالك**

ذهب داود إلى المكان الذى فيه خيمة الاجتماع التى فيها تابوت العهد وقدس الأقداس، وفيها رئيس الكهنة. دخل داود وقال لرئيس الكهنة أخيمالك أعطِنا خبزًا لنأكل لأن الملك قد أرسلنى فى أمر عاجل ولم نتمكن من أخذ حاجتنا. فأجاب رئيس الكهنة لا يوجد عندى سوى خبز التقدمة الذى لا يحل أكله إلا للكهنة فقط، ولكن إن كان الغلمان قد حفظوا أنفسهم لاسيما من النساء يمكنهم أن يأكلوا منه. ولما علم أنهم أطهار أعطاهم من خبز التقدمة.

وقال داود لأخيمالك هل لديك سلاح آخذه لأنى لم آخذ سيفى عندما خرجت إذ كان أمر الملك معجلاً. فقال له ليس عندى سوى سيف جليات الفلسطينى الذى قتلته أنت، فقال له اعطنى إياه لا يوجد مثله، فأعطاه السيف، فقام داود وهرب. (انظر 1صم21).

**داخل المغارة**

فى أحد المرات التى فيها كان داود هاربًا من شاول الملك، إذ أخذ شاول ثلاثة آلاف جندى منتخبين وذهب يطلب داود. واستمر يطارده فى البرية فأحس داود بإنه يتبعه فدخل واختبأ فى مغارة فى الجبل.

استمر شاول يبحث عن داود كل النهار، ولما حمى النهار وجد مغارة فدخل شاول ليستريح واتكأ ونام فيها، والجيش والعسكر خارجًا، وكان داود مختبئًا فى الداخل فى نفس المغارة.

وعندما تثقل شاول بالنوم قال رجال داود له هذه هى فرصتك، هوذا اليوم الذى قال لك عنه الرب هأنذا أدفع عدوك ليدك، ها هو الملك الذى يريد أن يقتلك، وأنت الملك الحقيقى الذى مسحه الرب ملكًا على إسرائيل، هيا أخرج لتقضى عليه، وسوف يعلن كل هذا الجيش الذى فى الخارج ولاءه لك كملك.

"فَقَالَ لِرِجَالِهِ: حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَعْمَلَ هَذَا الأَمْرَ بِسَيِّدِي بِمَسِيحِ الرَّبِّ، فَأَمُدَّ يَدِي إِلَيْهِ لأَنَّهُ مَسِيحُ الرَّبِّ هُوَ" (1صم24: 6). لقد مسحه صموئيل النبى ملكًا. حقيقةً إن الرب رفضه لكن إن كان الله يريد أن يُسلّمنى المملكة فهو الذى يعمل ما يريد لكن أنا لا أقتل ملك إسرائيل؛ إنه مسيح الرب.

ويُفهم أنهم قالوا له: لقد دفعه الرب ليدك، وها أنت منذ سنين كثيرة مطارَد فى البرية لا تستقر في مكان واحد، ولم نهنأ يومًا لنبيت فى مكان، فى الليل فى النهار مطاردين فى الحر فى الجوع فى العطش فى القفار فى المغائر فى شقوق الأرض، هل ستظل مطارَدًا طول حياتك بهذه الصورة؟! فأجابهم داود لا يمكن «حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَعْمَلَ هَذَا الأَمْرَ بِسَيِّدِي بِمَسِيحِ الرَّبِّ، فَأَمُدَّ يَدِي إِلَيْهِ لأَنَّهُ مَسِيحُ الرَّبِّ هُوَ».

وفى هدوء تقدم داود وقرب من شاول وهو نائم، وقطع طرف جبة شاول وأخذ قطعة القماش.

**وراء من خرج ملك اسرائيل؟!**

ثم خرج شاول بعد أن استراح ونام وقام وخرج من الكهف وذهب فى طريقه، وكان داود مازال مختبئًا. وما أن ابتعد شاول بالجيش عنه، حتى خرج من الكهف، ونادى وراء شاول "يَا سَيِّدِي الْمَلِكُ. وَلَمَّا الْتَفَتَ شَاوُلُ إِلَى وَرَائِهِ خَرَّ دَاوُدُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ" (1صم24: 8).

وقال داود لشاول: وراء من خرج ملك إسرائيل؟.. من هو الذى أنت تطارده يا سيدى الملك؟!.. وراء برغوث واحد؟!.. من رأى ملكًا يجرى فى الصحراء وراء برغوث أو وراء كلب ميت؟!.. من أنا لتتعب لهذا الحد من أجل مطاردتى بهذه الصورة؟! وتمررت روحك وأنت تجرى ورائى.. لكن، انظر طرف جبتك، ألم تكن هى هذه التى فى يدى؟!

لقد دفعك الرب اليوم إلى يدى فلماذا لم أقتلك؟! لماذا تصدق الناس الذين يريدون العداوة بينى وبينك، ويقولون إنى أريد أن أقتلك لكى أكون أنا الملك وآخذ منك المملكة؟ هذا هو الدليل؛ دليل براءتى.

**يقضى الرب بينى وبينك**

وكان لسان حال داود يقول أنا كنت أمينًا لك فى كل خدمتى، ضحيت بحياتى من أجلك؛ فى يوم جليات الفلسطينى نزعت العار عن إسرائيل. وفى كل حرب مع الفلسطينيين الوثنيين كنتَ تضعنى فى مقدمة الجيش لكى تتخلص منى، ولكنى كنت أتقدم وأحارب لأدافع عن ملكك، وأرجع لك بكل انتصار. وقدمت لك البرهان واحدًا تلو الآخر. لكن كانت مكافأتى منك، أنك فى كل مرة كنت تحاول أن تقتلنى!! ماذا صنعت لك؟! لكن من أجل أمانتى "يَقْضِي الرَّبُّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ..." (1صم24: 12).

وفى هذه اللحظات اكتشف شاول الملك حقارة نفسه فقال شاول لداود: "**أَهَذَا صَوْتُكَ يَا ابْنِي دَاوُدُ**؟" (1صم24: 16) أنت أبر منى من أجل ذلك أنا واثق أن الله سيكافئك على أمانتك، تقدم إلىَّ ولا تخف ولتكن المحبة بيننا (انظر1 صم26: 21) حينما تكررت الأمور بعد ذلك فى واقعة مشابهة "فَقَالَ شَاوُلُ: قَدْ أَخْطَأْتُ. ارْجِعْ يَا ابْنِي دَاوُدُ لأَنِّي لاَ أُسِيءُ إِلَيْكَ بَعْدُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ نَفْسِي كَانَتْ كَرِيمَةً فِي عَيْنَيْكَ الْيَوْمَ. هُوَذَا قَدْ حَمِقْتُ وَضَلَلْتُ كَثِيرًا جِدّاً". وكان لسان حال داود يقول: كلا، لقد سمعت كثيرًا منك مثل هذا الكلام من قبل، وكثيرًا ما كنتُ أصدقك، ولكنك كنت تحاول أن تقتلنى.

ليسر كل واحد منا فى طريقه، وسوف يعطى الله كل واحد حسب قلبه. أما من جهتى أنا، فليس فى قلبى أى بغضة من ناحيتك، ولا أضمر لك لا كراهية ولا بغضة، لكن أيضًا ليس من الحكمة أن أضع رقبتى فى يدك لأنك لم تكن أمينًا فى وعودك. "يَقْضِي الرَّبُّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَيَنْتَقِمُ لِي الرَّبُّ مِنْكَ، وَلَكِنْ يَدِي لاَ تَكُونُ عَلَيْكَ" (1صم24: 12)، لن أقتلك أنا بيدى يا سيدى الملك، لكن الرب يعرف كيف يأخذ لى حقى... هكذا يذكر الكتاب هذا اللقاء العجيب فى (1صم24: 9-22).

**رجل حسب قلبى**

فى سياق قصة هذا الحدث قال شاول لداود أنا أعرف أنك سوف تكون الملك، لأنى رأيت أمانتك وحبك وغفرانك، لكن ليتك تحلف لى بالرب (كان فى ذلك الزمان مصرح بالحلفان، أما فى العهد الجديد فالحلفان خطية) قال له احلف لى بالرب إنك عندما تصير ملكًا لا تبيد نسلى، بل ليتك تجعل اسمى باقٍ فى إسرائيل، فحلف داود لشاول..

عجيب داود إنه حتى الطلب الذى طلبه منه شاول لم يرِد أن ينصرف عنه وقلبه مكسور، فحلف له إنه لن يبيد نسله ولا يقطع اسمه من الأرض!! هذا هو داود النبى الذى استحق من أجل ذلك أن يقول عنه الرب "وَجَدْتُ دَاوُدَ بْنَ يَسَّى رَجُلاً حَسَبَ قَلْبِي الَّذِي سَيَصْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي" (أع13: 22).

**داود الإنسان المتواضع**

كثير من القديسين يسلكون مثل هذا السلوك حتى مع الشياطين؛ فنسمع فى سيرة القديس الأنبا أنطونيوس، عندما كانت تحاربه الشياطين كان يقول لهم }يا أقوياء لماذا تقومون علىَّ وتكثرون وأنا أضعف من أصغركم{، فكان يتواضع أمام الشياطين ويقول لهم أصغركم يكفينى ويكفى لمحاربتى. ولا يلزم كل هذه الجيوش الجرارة، بهذا الإتضاع كان يغلب الشياطين.

**نشيد القوس**

بعد أحداث أخرى مماثلة أو لسبب مخالفة شاول للأوامر والوصايا الإلهية؛ قُتِل شاول فى الحرب، وقُتِل يوناثان ابنه أيضًا. فماذا عمل داود؟!

نظم داود مرثاة عجيبة جدًا لشاول ويوناثان!! بل وطلب أن يتعلم شعب إسرائيل هذا النشيد ويرددوه، وسماه نشيد القوس. وجعله أغنية مثل النشيد الوطنى، يردده شعب إسرائيل من أجل مجد الله، لأن شاول كان يحارب حروب الرب..

**وماذا يقول النشيد:**

**"كَيْفَ سَقَطَ الْجَبَابِرَةُ! لاَ تُخْبِرُوا فِي جَتَّ. لاَ تُبَشِّرُوا فِي أَسْوَاقِ أَشْقَلُونَ، لِئَلاَّ تَفْرَحَ بَنَاتُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، لِئَلاَّ تَشْمَتَ بَنَاتُ الْغُلْفِ" (2صم1: 19، 20)**

لا تبشروا أن شاول قُتل ولا تبشروا أن ملك إسرائيل مات، احذروا حتى لو كنت أنا الملك بعده، لكن لا تبشروا لئلا تفرح بنات الفلسطينين ولئلا تشمت بنات الغلف.

**"يَا جِبَالَ جِلْبُوعَ لاَ يَكُنْ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ عَلَيْكُنَّ وَلاَ حُقُولُ تَقْدِمَاتٍ، لأَنَّهُ هُنَاكَ طُرِحَ مِجَنُّ الْجَبَابِرَةِ، مِجَنُّ شَاوُلَ بِلاَ مَسْحٍ بِالدُّهْنِ" (2صم1: 21)**

جلبوع هو الجبل الذى كانت عليه المعركة، قال: الجبل الذى قُتل عليه شاول ويوناثان لن أقبل منه أبدًا زرعًا يكون حنطة أو أى تقدمة تقدم فى بيت الرب. إن أثمر فيه زرع، وأحضر منه أحد العشور أو البكور أو أى تقدمات، لن أقبل أبدًا بأى حال هذه التقدمة لأن هذا الجبل قد سُفك عليه دم ملك إسرائيل.

انظروا مشاعر داود... يقول فى النشيد: لأنه هناك طُرح مجن الجبابرة مجن شاول بلا مسح بالدهن، هنا يشير إلى أنه كان مسيحًا للرب. (ولكن شاول حينما عصى أوامر الرب؛ فارقه روح الرب وبغته روح ردىء من قِبل الرب أى بسماح من الرب)، لم ترجع قوس يوثانان إلى الوراء وسيف شاول لم يرجع خائبًا، حتى وإن كانا قد قُتلا، لكن الأسلحة التى لهما لم ترجع خائبة، وحاربا حروب الرب وقاتلا ببأس.

كل ما قاله سابقًا ربما يكون مناسبًا ومنطقيًا، لكن ما قاله بعد ذلك هو يفوق العقول، فماذا قال؟!!

**"شَاوُلُ وَيُونَاثَانُ الْمَحْبُوبَانِ وَالْحُلْوَانِ فِي حَيَاتِهِمَا لَمْ يَفْتَرِقَا فِي مَوْتِهِمَا. أَخَفُّ مِنَ النُّسُورِ وَأَشَدُّ مِنَ الأُسُودِ" (2صم1: 22، 23).**

شاول ويوناثان المحبوبان والحلوان فى حياتهما.. ماذا يا داود؟! هل تقول عن شاول الذى كان يطاردك طول حياتك، وحتى بعد ما تركته حين وقع فى يدك رجع يطاردك مرة تلو الأخرى؛ ولم يرخِ يده عنك إلى أن مات، تقول عنه المحبوبان والحلوان؟!!

يقول داود: أنا لا أنسى أيام العشرة الحلوة القديمة قبلما يقوم علىَّ شاول وينقلب علىَّ، كان لنا عِشرة معًا حينما كنت أعزف له على القيثار وأرتل المزامير فيهدأ عنه الروح الشرير الذى بغته بعد مخالفته لوصايا الرب. وكان لنا صداقة قبل أن يقولوا له إن داود يريد أن يأخذ منك المُلك. أقل ما فيها إنه والد يوناثان؛ يوناثان حبيب عمرى القديس الذى أنقذ حياتى من والده، فشاول هو أبوه. ولا أقدر أن أنسى فضل الأبوة. ثم يقول: **"أَخَفُّ مِنَ النُّسُورِ وَأَشَدُّ مِنَ الأُسُودِ. يَا بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ، ابْكِينَ شَاوُلَ الَّذِي أَلْبَسَكُنَّ قِرْمِزًا بِالتَّنَعُّمِ، وَجَعَلَ حُلِيَّ الذَّهَبِ عَلَى مَلاَبِسِكُنَّ" (2صم1: 24).**

يقول لهم: ابكوا يا بنات إسرائيل على شاول الذى كان يلبسكن الذهب والمطرز. أين هذا الذهب يا داود؛ وهو الذى لم ينفك عن مطاردتك وقد جعل حياتك ممتلئة بالمخاوف والأحزان؟!!.. **هذا هو داود فى وفائه واتضاعه**.

**"كَيْفَ سَقَطَ الْجَبَابِرَةُ فِي وَسَطِ الْحَرْبِ! يُونَاثَانُ عَلَى شَوَامِخِكَ مَقْتُولٌ. قَدْ تَضَايَقْتُ عَلَيْكَ يَا أَخِي يُونَاثَانُ. كُنْتَ حُلْوًا لِي جِدّاً. مَحَبَّتُكَ لِي أَعْجَبُ مِنْ مَحَبَّةِ النِّسَاءِ. كَيْفَ سَقَطَ الْجَبَابِرَةُ وَبَادَتْ آلاَتُ الْحَرْبِ" (2صم1: 25-27).**

هذا النشيد إن كنا نقرأه اليوم، لكن ليس مثلما نقرأه كما كتبه داود، فقد كتبه شعرًا ولحَّنه بلحن جميل، لحن كأعظم موسيقى ممكن أن يعزف بها إنسان. موسيقى عزفها داود الذى هو حسب شهادة الكتاب نفسه"َمُرَنِّمِ إِسْرَائِيلَ الْحُلْوِ" (2صم23: 1)..

لذلك من يسمع هذا النشيد لابد أن يجهش بالبكاء، لابد أن يخفق قلبه، لابد أن تفيض مشاعره بأحاسيس عجيبة تتناسب مع وقع هذا اللحن العذب والعميق.

لم يكن فى ذلك الزمان كما هو الآن جهاز تسجيل يسجل لنا هذا النشيد سواء فيديو أو كاسيت، إذ لو تم تسجيله لكنا قد تمتعنا بموسيقى هذا النشيد والشعر الذى فيه، وإن كنا لن نفهمه لأنه باللغة العبرية. لكن على أى الأحوال بالرغم من اختفاء الموسيقى واختفاء الشعر، لكن نستطيع بعمل الروح القدس فينا أن نرى ونحس ما فى هذه الكلمات من موسيقى روحية تسمو على الموسيقى المسموعة بالأذن العادية.

من يقرأ هذا النشيد بروح التأمل يشعر أنه صادر من عمق قلب داود، وصار جزءًا لا يتجزأ من أسفار الكتاب المقدس..

**داود مع ابنه أبشالوم**

كان أبشالوم ابن داود قد ارتكب خطأ كبيرًا جدًا، فقد قتل أخاه غير الشقيق أمنون دون أن يحتكم إلى مجلس القضاء رسميًا، بعد أن اغتصب أمنون ثامار شقيقة أبشالوم، وحزن داود لفعله وغضب عليه. واختبأ أبشالوم ثلاث سنوات خارج أورشليم، ولم يستطِع مواجهة أبيه. ثم أرسل أبشالوم يوآب رئيس الجيش يكلم داود ليلتمس عفوه. وطلب يوآب إليه أن يسامح أبشالوم وسأله أن يسمح له أن يأتى ويعتذر إليه، فقال داود ليوآب اذهب ورد الفتى أبشالوم. وجاء أبشالوم إلى أورشليم واعتذر لأبيه فقبل اعتذاره (انظر 2صم14).

كان أبشالوم رجلاً جميلاً جدًا وحسن المنظر، فكما كان داود جميلاً، كان أبشالوم أيضًا لأن والدته أيضًا كانت جميلة، فلذلك كان لأبشالوم جمال عجيب يقول عنه الكتاب:

**"وَلَمْ يَكُنْ فِي كُلِّ إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ جَمِيلٌ وَمَمْدُوحٌ جِدّاً كَأَبْشَالُومَ، مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ حَتَّى هَامَتِهِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عَيْبٌ.** وَعِنْدَ حَلْقِهِ رَأْسَهُ، إِذْ كَانَ يَحْلِقُهُ فِي آخِرِ كُلِّ سَنَةٍ، لأَنَّهُ كَانَ يَثْقُلُ عَلَيْهِ فَيَحْلِقُهُ، كَانَ يَزِنُ شَعْرَ رَأْسِهِ مِئَتَيْ شَاقِلٍ بِوَزْنِ الْمَلِكِ" (2صم14: 25-27)؛ جمال عجيب.

**أبشالوم يسترق قلب الشعب**

وقف أبشالوم فى باب القصر، وكل صاحب دعوى آتٍ إلى الملك يسأله ماهى شكواك، فيجيبه إن لى خصومة مع إنسان ظلمنى، ولذلك جئت للملك لكى أشكو له. فيقول له ليس من يسمع لك عند الملك، بل الملك يطرد الناس ولا يسمع لأحد. فيقول له وماذا أعمل؟ يقول له أبشالوم قل لى أنت ما هى مشكلتك وأنا أحل لك المشكلة. كل واحد داخل يجذبه إليه ويكدر نفسيته من ناحية داود النبى والملك، ويستميل هذا الشخص إليه.

واستمر على هذا الحال إلى أن أصبح له شعبية كبيرة جدًا فى وسط شعب إسرائيل، وداود بسلامة قلب لم يشك فيه بل كان يقول أبشالوم هو ابنى ولا يمكن بحال من الأحوال أن يخوننى. هكذا أعطى داود لأبشالوم الأمان والثقة والسلطة، كما أعطاه فرصة أن يتصل بالشعب ويعمل ما يريد، ويدخل ويخرج مادام سامحه وانتهت المشكلة.

**الابن يقوم على أبيه!!**

وبعد عدة سنين أتى من يخبر داود أن أبشالوم قام بثورة ضده. وأمال الشعب وراءه وعمل جيشًا ضخمًا جدًا. قال أنا سوف أعزل الملك لأن الملك لا يصلح للمملكة، ونادى بنفسه ملكًا على اسرائيل، وجمع جيشًا ضخمًا وزحف على أورشليم. فقام داود وجميع بيته وترك القصر، وخرج وكل رجاله وراءه وترك المملكة. وبعدما هرب دخل أبشالوم العاصمة واستولى على المملكة وجلس على العرش وأعلن نفسه ملكًا على اسرائيل!!

فبعض من الرجال الأمناء للملك –الممسوح من قِبَلْ الله- ومن الرجال المستقيمين فى المملكة؛ لم يرضوا بهذا الوضع الغير لائق، ولم يوافقوا على هذا التصرف واغتصاب المملكة بهذه الطريقة. واستنكروا خيانة الابن لأبيه بهذه الصورة المزرية، وانضموا إلى داود وتجمعوا حوله فكان معه الحرس الملكى ومنهم يوآب ابن صروية قائد الجيش قريب داود النبى، وأخوه أبيشاى، مجموعة كانوا معًا وكوَّنوا جيشًا قويًا للمقاومة، وابتدأوا فى محاولة إرجاع داود للمُلك مرة أخرى.

**ترفقوا بالفتى أبشالوم!!**

وكان لما خرج الجيش الملكى ليحارب جيش الثورة التى عملها أبشالوم. وقف داود فى باب المدينة، وأخذ يوصى العسكر عند خروجهم واحدًا فواحدًا **ويقول لهم ترفقوا لى بالفتى أبشالوم ابنى، لا تنسوا إنه ابنى، فتعاملوا معه برفق**. إن كنتم تريدون إرجاع المملكة لى لكى ترجعوا المُلك **للمَلك الممسوح من الله**، لكن ليس معنى ذلك أن تقاتلوا وتثوروا. فإن أمسكتموه فليحضر أمامى حيًا، وتنتهى المشكلة.

وجلس داود فى باب المدينة ينتظر نتيجة المعركة، وفى المعركة كان القتال منتشرًا وهناك مقتلة عظيمة. وصادف أبشالوم عبيد داود فهرب وكان راكبًا على بغل فدخل البغل تحت أغصان شجرة البطمة ولأن شعره طويل فتعلق رأسه بالبطمة وصار معلقًا بين السماء والأرض والبغل الذى تحته مرَّ وذهب.

فجاء واحد من الجنود وأخبر قائد الجيش يوآب وقال له لقد رأيت أبشالوم معلقًا برأسه فى البطمة. فقال له لماذا لم تضربه بسهمين أو ثلاثة لتقضى عليه؟ قال الرجل ليوآب هل نسيت وصية الملك داود الذى قال لنا: إياكم والفتى أبشالوم؟ كيف أستطيع أن أرفع وجهى أمام الملك كل أيام حياتى إن كنت أقتل ابن الملك؟ قال له إنه ابن خائن اقتله. قال له لا، لا أستطيع. قال له يوآب إنى لا أصبر هكذا أمامك، وأخذ ثلاثة سهام بيده ونشبها فى قلب أبشالوم وهو حى فى قلب البطمة (انظر 2صم18).

وكان داود جالسًا فى الباب ينتظر النتيجة، ورجع الجيش من المعركة منتصرًا، وكل جيش أبشالوم عندما رأوا أن ملكهم المزعوم قد مات رجعوا كل واحد إلى بلده وإلى بيته. فرجع جيش داود منتصرًا وفرحًا، وواحد من الجيش سبق بسرعة، فنادى الرقيب الواقف على السور من فوق وأخبر داود إن رجلاً يجرى من بعيد، فقال له إذا كان قد جاء ووجهه فرحًا سيكون حاملاً أخبارًا سارة. ودخل المرسال، سلّم على الملك، قال له الملك: ماذا عملتم؟ أجابه: الله يصنع بأعداء الملك كما حدث للقوم الذين ثاروا عليك، وبدأ داود يقلق على ابنه، ثم جاء مرسال آخر قال له ليكن كالفتى أعداء سيدى الملك وجميع الذين قاموا عليك للشر، أى أن أبشالوم قد مات. "فَانْزَعَجَ الْمَلِكُ وَصَعِدَ إِلَى عِلِّيَّةِ الْبَابِ وَكَانَ يَبْكِي وَيَقُولُ وَهُوَ يَتَمَشَّى: **يَا ابْنِي أَبْشَالُومُ، يَا ابْنِي يَا ابْنِي! أَبْشَالُومُ، يَا لَيْتَنِي مُتُّ عِوَضًا عَنْكَ! يَا أَبْشَالُومُ ابْنِي يَا ابْنِي"** (2صم18: 33).

**صارت الغلبة مناحة!!**

جاء يوآب قائد الجيش ودخل فرحًا مفتخرًا فوجد الملك يبكى وينوح. وتسلل العسكر ورجال الحرب للدخول إلى المدينة بسكوت عندما سمعوا أن الملك يبكى وينوح. دخلوا كما يتسلل القوم الخجلون عندما يهربون فى القتال، وكانوا خائفين لئلا يقع بهم داود أو يعاقبهم من أجل مقتل ابنه. فدخل قائد الجيش، وقال له: ما الذى فعلته؟! قال له ابنى مات، قال له ابنك هذا خائن وقد رأيت كيف قام بثورة عليك، قال له داود: لكن هل نسيت إنه ابنى؟!

أجابه يوآب وقال: قد أخزيت اليوم وجوه جميع عبيدك منقذى نفسك وأنفس بنيك وبناتك وكل من لك!.. وقد رأيت كيف خاطر كل منا ووضع روحه على كفه، وضحى بحياته من أجل ملكك ومن أجل كرسيك وعرشك وتاجك. فالآن قم وأخرج وطيّب قلوب عبيدك وأشكرهم على ما صنعوه، لأنه إن لم تخرج لا يبيت أحد معك هذه الليلة، ويكون ذلك أشر عليك من كل شر أصابك منذ صباك إلى الآن.

فقام داود وغسل وجهه، ولبس ملابسه، وتحامل على نفسه، وجلس على الكرسى، وابتدأ يستقبل التهانى وقلبه يتمزق من الداخل ويقول فى قلبه أبشالوم يا ابنى يا ليتنى مُت عوضًا عنك.

**ليتنى مُت عوضًا عنك!!**

مُجمل القول إن داود كان هو الملك، أعطاه الله ملكًا ومسحه... وذاك الفتى أبشالوم اغتصب المُلك. ولأن المملكة هى من الله، فلم يقدر داود أن يمنع الشعب الوفى المخلص أن يحارب حروب الرب، ويرجع الملك إلى كرسيه. لكن فى نفس الوقت عاطفة الأبوة التى له كانت شيئًا آخر. لذلك كان يقول يا ليتنى أنا مُت عوضًا عن أبشالوم.

هذا هو داود، داود الذى فى وقت ما كان -كما رأيناه- جبار بأس ويحارب الأسد والدب، لكن فى وقت آخر كأب كانت مشاعر أبوته أقوى من كل طغيان الحرب، وسهام القتال، وصليل السيوف.

**المسيح مات عوضًا عنا**

داود هنا كان بروح النبوة أو برمز النبوة يرمز **على نحو ما** إلى الله المحب. كيف ذلك؟ الإنسان أخطأ فى حق الله، وكان مستوجبًا للموت... ولكن السيد المسيح على الصليب بذل حياته من أجل خلاصنا، وصلى طالبًا الغفران لصالبيه.

فكما كان داود يقول لأبشالوم يا ليتنى مت عوضًا عنك، السيد المسيح أيضا يقول لكل إنسان خاطىء يا ليتنى يا ابنى مُت عوضًا عنك. وإن كان داود لم يقدر أن ينفذها لكن السيد المسيح نفَّذها فعلاً. لأن داود لو مات كان قد انتهى. لكن السيد المسيح إذ مات انتصر على الخطية وعلى الموت وقام ملكًا من الأموات منتصرًا وفاديًا لكل من يؤمن ويتوب.

**كان عمل داود هنا–على نحو ما-رمزًا لعمل السيد المسيح كأب روحى وكمخلّص وكفادٍ.. كانت تتراءى لمحات من محبة الله فى حياة داود تنعكس على حياته مثل الجوهرة التى تضوى فى النور فتعكس الضوء ببريق عجيب.**

**عند بيدر أرونة اليبوسى**

موقف آخر فى حياة داود.. عندما أخطأ الشعب، فهيج الرب عليهم داود لكى يحصى الشعب كما ورد فى سفر صموئيل الثانى "**وَعَادَ فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ** فَأَهَاجَ عَلَيْهِمْ دَاوُدَ قَائِلاً: امْضِ وَأَحْصِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا" (2صم24: 1). ولكن ورد فى سفر أخبار الأيام الأول تفسيرًا لهذا الأمر إذ قال "وَوَقَفَ الشَّيْطَانُ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ وَأَغْوَى دَاوُدَ لِيُحْصِيَ إِسْرَائِيلَ" (1أى21: 1).

وليس هناك تناقضٌ بين السفرين لأن المسألة فى حقيقتها أن نعمة الله عندما تتخلى عن أى إنسان فى موقف معيَّن لتكشف له ضعفه مثل سقوطه فى الكبرياء؛ فإن الشيطان يستغل الفرصة لغواية هذا الإنسان ويكون ذلك بسماح من الله مثلما ورد فى سفر الأمثال "قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ وَقَبْلَ السُّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ" (أم16: 18)، فيقال إن الرب قد أهاج داود على شعب إسرائيل. **ويقال أيضًا** إن الشيطان قد وقف ضد إسرائيل وأغوى داود. وفى حقيقة الأمر أن الرب قد سمح للشيطان أن يفعل ذلك لتأديب شعب إسرائيل المخطيئين ولتأديب داود على افتخاره فى قلبه بعدد الشعب.

"وَضَرَبَ دَاوُدَ قَلْبُهُ بَعْدَمَا عَدَّ الشَّعْبَ. فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّبِّ: لَقَدْ أَخْطَأْتُ جِدّاً فِي مَا فَعَلْتُ، وَالآنَ يَا رَبُّ أَزِلْ إِثْمَ عَبْدِكَ لأَنِّي انْحَمَقْتُ جِدّاً. وَلَمَّا قَامَ دَاوُدُ صَبَاحًا كَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى جَادٍ النَّبِيِّ رَائِي دَاوُدَ: اِذْهَبْ وَقُلْ لِدَاوُدَ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: ثَلاَثَةً أَنَا عَارِضٌ عَلَيْكَ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ وَاحِدًا مِنْهَافَأَفْعَلَهُ بِكَ" (2صم24: 10- 12).

**ثلاث عقوبات**

كانت الثلاث عقوبات هى إما أن تأتى عليه سبع سنى جوع، أو أن يهرب ثلاثة أشهر أمام أعدائه، أو يكون ثلاثة أيام وبأ. وعاقب الرب الشعب حسب إختيار داود أن يكون ثلاثة أيام وبأ فى الأرض..

فضرب الملاك المهلك **من دان** إلى بئر سبع، ضرب فى يوم واحد سبعين ألف من شعب إسرائيل.. وإذ قرب من أورشليم فبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها.. "فَكَلَّمَ دَاوُدُ الرَّبَّ عِنْدَمَا رَأَى الْمَلاَكَ الضَّارِبَ الشَّعْبَ وقال: هَا أَنَا أَخْطَأْتُ وَأَنَا أَذْنَبْتُ، وَأَمَّا هَؤُلاَءِ الْخِرَافُ فَمَاذَا فَعَلُوا؟ فَلْتَكُنْيَدُكَ عَلَيَّ وَعَلَى بَيْتِ أَبِي" (2صم24: 17).

ظن داود أن الأمر خاص به وبخطئه فى عد الشعب، لكن الأمر هو أن الشعب نفسه هو الذى أخطأ وأراد الرب تأديبهم. ولذلك أهاج عليهم داود ليحصيهم كما شرحنا، ثم عاقب داود لأنه أحصى الشعب ليفتخر به.. لكن فى الحقيقة إن المقصود كان تأديب الشعب نفسه، فلم يظلم الله الشعب.

ولقد أحسن داود فيما اختار من العقوبات الثلاث، وهو أن يقع فى يد الرب لأن مراحمه كثيرة ولا يسقط فى يد إنسان.. **هذه هى خبرات داود مع الله وحنانه**.

**صورة أخرى للفادى**

وعندما قال داود إنى أنا الذى أخطأت، كان ينسب خطأ الشعب إلى نفسه أى يحمل خطايا الشعب، وكان بذلك –جزئيًا- رمزًا للسيد المسيح الذى "حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ" (إش53: 12).

**ندم الرب عن الشر!!**

طبعًا الشر بالنسبة لله لا يعنى الخطية ولكن الأذية أى المعاقبة؛ للمخطىء والرب يتراجع عن ذلك إذا وُجد الفداء بواسطة الضحية أى الكفارة المقبولة. نقرأ هكذا فى الكتاب المقدس: "وَبَسَطَ الْمَلاَكُ يَدَهُ عَلَى **أُورُشَلِيم**َ لِيُهْلِكَهَا، **فَنَدِمَ الرَّبُّ** **عَنِ الشَّرِّ** وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ الشَّعْبَ: كَفَى! الآنَ رُدَّ يَدَكَ، وَكَانَ مَلاَكُ الرَّبِّ عِنْدَ بَيْدَرِ أَرُونَةَ الْيَبُوسِيِّ" (2صم24: 16). وربما يتعجب البعض: أنت يارب أمرت الملاك أن يهلك، فخرج وضرب فى أول يوم سبعين ألفًا ووصل إلى أورشليم. وعند بيدر أرنان (أرونة) اليبوسى الذى أقام فيه داود مذبحًا للرب فيما بعد، ندم الرب على الشر.. فهل من المعقول أن يندم الرب ؟! وهو الذى يقول عنه الكتاب "مَعْلُومَةٌ عِنْدَ الرَّبِّ مُنْذُ الأَزَلِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ" (أع15: 18)، ويعرف ماذا يفعل. شئ عجيب يحيّر العقل فى فهمه.. لماذا ندم؟

**لماذا ندم الرب على الشر؟!**

لقد رأى الله صليب المسيح فى هذا المكان. أو رأى الهيكل الذى ستقدَم عليه الذبائح الرمزية فى هذا الموضع.. فهذه الأرض هى موضع أحداث مقدسة فى الحاضر أو فى المستقبل.. فى الحاضر أى فى المستقبل القريب الذى سيحدث فى أيام داود.

ندم الرب على الشر.. إن كان ملاك الرب قد مد يده ليهلك، فهذا رمز لإهلاك الجنس البشرى، إذ أن أورشليم هنا ترمز للبشرية. فإذا أهلك الملاك أورشليم فهذا يعنى هلاك الجنس البشرى كله، وهذا إشارة إلى الحكم الذى صدر ضد آدم وكل نسله.

ولكن من أجل صليب المسيح ومن أجل الفداء والخلاص، ندم الرب على الشر الذى كان سيصنعه بالجنس البشرى كله. **ندم بمعنى أنه رفع العقوبة**.. كما نصلى فى قطع الساعة السادسة {صنعت خلاصًا فى وسط الأرض كلها عندما بسطت يديك الطاهرتين على عود الصليب}.

**مذبح للرب فى بيدر أرونة**

"فَجَاءَ جَادُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى دَاوُدَ **وَقَالَ لَهُ: اصْعَدْ وَأَقِمْ لِلرَّبِّ مَذْبَحًا فِي بَيْدَرِ أَرُونَةَ الْيَبُوسِيِّ"** (2صم 24: 18). قال له الرب: هذا هو المكان الذى سررت أن يدعى اسمى فيه، وإذ أرى علامة الدم فأعبر.. فأورشليم هى لى.

وإن كان فى هذا الوقت لم يكن قد جاء المسيح ولا بُنى الهيكل، ولكن الله كان يريد أن يؤكّد مُقدمًا أنه سيختار هذا المكان، فإذ أن أعماله معلومة منذ الأزل وكل الأمور حاضرة أمامه، "وَيَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ" (رو4: 17). فهو يتعامل مع هذا المكان كما لو كان أورشليم بعد بناء الهيكل وبعد مجئ السيد المسيح وصلبه.

أما بالنسبة للزمن فيمكن لله أن يتعامل بما هو فوق الزمان لكن فى استحقاقات معينة هو مزمع أن يصنعها لذلك قال لداود اصعد وأقم للرب مذبحًا، هذا المذبح ليكفر عن خطايا الشعب فيرتفع الغضب الإلهى.

**واستجاب الرب فكفت الضربة**

"فَصَعِدَ دَاوُدُ حَسَبَ كَلاَمِ جَادَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ. فَتَطَلَّعَ أَرُونَةُ وَرَأَى الْمَلِكَ وَعَبِيدَهُ يُقْبِلُونَ إِلَيْهِ، فَخَرَجَ أَرُونَةُ وَسَجَدَ لِلْمَلِكِ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ. وَقَالَ أَرُونَةُ: «لِمَاذَا جَاءَسَيِّدِي الْمَلِكُ إِلَى عَبْدِهِ؟» فَقَالَ دَاوُدُ: «لأَشْتَرِيَ مِنْكَ الْبَيْدَرَ لأَبْنِيَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ فَتَكُفَّ الضَّرْبَةُ عَنِ الشَّعْبِ».

فَقَالَ أَرُونَةُ لِدَاوُدَ: «فَلْيَأْخُذْهُ سَيِّدِي الْمَلِكُ وَيُصْعِدْ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْهِ. انْظُرْ. الْبَقَرُ لِلْمُحْرَقَةِ، وَالنَّوَارِجُ وَأَدَوَاتُ الْبَقَرِ حَطَبًا». اَلْكُلُّ دَفَعَهُ أَرُونَةُ الْمَالِكُ إِلَى الْمَلِكِ. وَقَالَ أَرُونَةُ لِلْمَلِكِ: «الرَّبُّ إِلَهُكَ يَرْضَى عَنْكَ». فَقَالَ الْمَلِكُ لأَرُونَةَ: «لاَ. بَلْ أَشْتَرِي مِنْكَ بِثَمَنٍ وَلاَ أُصْعِدُ لِلرَّبِّ إِلَهِي مُحْرَقَاتٍ مَجَّانِيَّةً».

فَاشْتَرَى دَاوُدُ الْبَيْدَرَ وَالْبَقَرَ بِخَمْسِينَ شَاقِلاً مِنَ الْفِضَّةِ. وَبَنَى دَاوُدُ هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَاسْتَجَابَ الرَّبُّ مِنْ أَجْلِ الأَرْضِ، فَكَفَّتِ الضَّرْبَةُ عَنْ إِسْرَائِيلَ" (2صم24: 19-25). لم يرضَ الملك داود أن يأخذ مكان المذبح والمحرقات مجانًا. فحيث إن الله قد أمره أن يقيم مذبحًا فى هذا المكان، فلا يليق أن يقدم له مذبحًا وتقدمات مجانية، وإلا كأنه استخف بتقدمة الرب.

هكذا عند بيدر أرونة اليبوسى، إشترى داود البيدر والبقر، وأصعد محرقات وذبائح، واستجاب الرب من أجل الأرض. فكفت الضربة عن إسرائيل..

**بئر بيت لحم**

موقف مشابه حدث يومًا ما؛ إذ تأوه داود عطشًا وخاطر رجاله وشقوا محلة الفلسطينين ليستقوا ماء من بئر بيت لحم وحملوه وأتوا به إلى داود. هكذا يذكر الكتاب:

"فَتَأَوَّهَ دَاوُدُ وَقَالَ: مَنْ يَسْقِينِي مَاءً مِنْ بِئْرِ بَيْتِ لَحْمٍ الَّتِي عِنْدَ الْبَابِ؟. فَشَقَّ الأَبْطَالُ الثَّلاَثَةُ مَحَلَّةَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَاسْتَقُوا مَاءً مِنْ بِئْرِ بَيْتِ لَحْمٍ الَّتِي عِنْدَ الْبَابِ، وَحَمَلُوهُ وَأَتُوا بِهِ إِلَى دَاوُدَ، فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَشْرَبَهُ بَلْ سَكَبَهُ لِلرَّبِّ. وَقَالَ: حَاشَا لِي يَا رَبُّ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ. هَذَا دَمُ الرِّجَالِ الَّذِينَ خَاطَرُوا بِأَنْفُسِهِمْ. فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَشْرَبَهُ..." (2صم23: 15-17). هكذا سكب الماء للرب ولم يرضَ أن يشربه، فداود كم هو حساس فى علاقته مع الله.

**وقفة تأمل عند بئر بيت لحم**

كان بئر بيت لحم رمزًا للسيد المسيح الذى "مِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ" (يو1: 16)، فهو قد ولد فى بيت لحم، وكان "يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ" (لو2: 52).. والماء يرمز إلى نعمة الروح القدس ومواهبه التى انسكبت على التلاميذ فى يوم الخمسين حسب وعد السيد المسيح لهم "وَهَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدَ أَبِي. فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِنَ الأَعَالِي" (لو24: 49).

فالسيد المسيح هو البئر ومنه أخذنا نعمة فوق نعمة ووعد أن يرسل الروح القدس الذى ينسكب على الكنيسة ويعمل فيها "وَفِيمَا هُوَ مُجْتَمِعٌ مَعَهُمْ أَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَبْرَحُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ بَلْ يَنْتَظِرُوا مَوْعِدَ الآبِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي... لَكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ**"** (أع1: 4، 8).

لقد سكب داود الماء للرب على الأرض، وكان هذا إشارة إلى انتشار الإنجيل بفعل الروح القدس فى الأرض كلها بواسطة التلاميذ الذين انسكب عليهم الروح القدس يوم الخمسين.

**داود مدرسة الفضائل**

حقيقةً نقول إن داود النبى مدرسة، مدرسة عجيبة جدًا، فيه الكثير والكثير من الفضائل والتعاليم الروحية؛ ماذا نقول عنه.. فى اتكاله على الله وثقته فى مواعيده، فى غفرانه للمسيئين، فى مشاعر محبته ووفائه لأصدقائه. يكفى فقط أن نتأمل هذا الوفاء فى حياة داود.

**الوفاء فى حياة داود**

أمر عجيب ما حدث مع الرجل الذى جاء وبشره بموت شاول. جاء إليه رجل يجرى، وقال له: أريد أن أبشرك ببشارة، فقال له داود: وما هى؟ فقال: إن شاول قُتل اليوم، قال له كيف عرفت ذلك؟ أجابه: وجدته فى المعركة وقد اعتراه الدوار فوقفت عليه وضربته بالسيف وقضيت عليه. قال له داود: أنت شهدت على نفسك إنك قتلت مسيح الرب، وأمر داود الحارس الواقف بجانبه أن يقطع رقبته فأطاح برقبته كما أمره (انظر 2صم1)..

ياللعجب!! الرجل الذى جاء مبشرًا بموت عدو الملك راجيًا أن يفرح الملك داود آملاً أن يعطيه داود ألف دينار أو أى مكافأة. أمر داود أن تُقطع رقبته... لماذا؟! قال له أتتجاسر أن تمد يدك على مسيح الرب.. لكن حقيقة الأمر؛ إن هذا الرجل لم يقتل شاول بل إن شاول قد قُتِل فى المعركة مع الفلسطينيين، إنما جاء هذا الرجل فقط ينسب إلى نفسه إنه هو الذى قتل شاول، فقال له داود: لسانك شهد عليك، والاعتراف هو سيد الأدلة، فأضاع نفسه لأن إذا كان إنسان يتجاسر أن ينطق بلسانه إنه قتل مسيح الرب يكون جزاؤه هكذا عند داود، فما بالك الذى يقتل فعلاً ماذا يكون نصيبه؟!... وماذا يكون أيضًا نصيب الذى يطلب منه شخصيًا أن يقتل شاول؟!

إن كان داود قد وبّخ رجاله بشدة عندما قالوا له هذه هى فرصتك لتتخلص من شاول، هكذا قال الكتاب: "فَوَبَّخَ دَاوُدُ رِجَالَهُ بِالْكَلاَمِ وَلَمْ يَدَعْهُمْ يَقُومُونَ عَلَى شَاوُلَ. فَقَالَ لِرِجَالِهِ: «حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَعْمَلَ هَذَا الأَمْرَبِسَيِّدِي بِمَسِيحِالرَّبِّ، فَأَمُدَّ يَدِي إِلَيْهِ لأَنَّهُ مَسِيحُ الرَّبِّ هُوَ»" (1صم24: 6، 7).

عجيب أن يقول داود عن شاول "سيدى" مع أن داود هو ملك إسرائيل الممسوح، ولكن يقول سيدى مسيح الرب وعندما ناداه قال يا سيدى الملك... انظروا كيف كان إتضاعه!!

**إتضاع داود ووداعته**

كان داود ممسوحًا ملكًا، وحل عليه الروح القدس، بينما كان شاول يملك بدون وجه حق، وعندما أرسل يسى داود بطعام لإخوته، ونزل داود إلى أرض المعركة... كنت تراه -وهو الملك- سائرًا فى وسط الجنود ولا يعتبره أحدٌ!! وعندما خرج إخوته قبل ذلك للمعركة قالوا له انتظر أنت هنا، لأنك مازلت صغيرًا على هذه الأمور. ولم يغضب داود أو يتضايق لمثل هذه المعاملة.

من أجل هذا يقول فى المزمور "اُذْكُرْ يَا رَبُّ دَاوُدَ كُلَّ ذُلِّهِ" (مز132: 1) أو اذكر يا رب داود و**كل دعته**، أى كل إتضاعه ووداعته. لأن الكتاب يقول بفم القديسة مريم العذراء والدة الإله إن الله "أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنِ الْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَّضِعِينَ" (لو1: 52). داود لأنه لم يكن يرى فى نفسه إنه شيء أو إنه يستحق الملك.

إذا قرأنا الكتاب المقدس من أول صفحة إلى آخر صفحة نجد أن من أكبر الفصول فى العهد القديم عن إحدى الشخصيات؛ هو المكتوب عن شخصية داود النبى. ولم يتذمر فى أى موقف أو يعاتب الله أو يقول كيف إن الله مسحنى ملكًا، ولم يسلمنى من المُلك شيئًا! بينما قضى سنينًا طويلة فى ظلم، فى تجارب، فى هوان، فى تهديدات، مطاردًا فى البرية. ولم يقل فى أى مرة "لماذا يا رب لم تعطِنى المُلك؟!" ولكنه كان فى كل هذا يشعر إنه غير مستحق... فى الحقيقة إن حياة داود كانت سلسلة من التجارب والضيقات. وكثيرًا ما تذلل سواء قبلما يتسلم المملكة أو بعد أن صار ملكًا. وليس ذلك فقط بل كان شاعرًا وموسيقارًا ومرنمًا حلوًا.

**مرنم إسرائيل الحلو**

كانت حياة داود النبى مملوءة من الأشعار والموسيقى، كان شاعرًا وكان موسيقارًا، وقد استخدم الرب هذه المواهب فكتب كثيرًا من المزامير، رنم بها على المزمار والقيثار والعشرة أوتار؛ لدرجة أن شاول الملك لما كان الروح الشرير الذى دخل فيه يعذبه لم يقدر أحد أن يريحه إلا داود عندما كان يعزف على قيثارته.

فقد كان عازفًا ومرنمًا، وكتب عنه إنه هو مرنم إسرائيل الحلو فيقول الكتاب: "وَحْيُ دَاوُدَ بْنِ يَسَّى، وَوَحْيُ الرَّجُلِ الْقَائِمِ فِي الْعُلاَ، مَسِيحِ إِلَهِ يَعْقُوبَ، وَمُرَنِّمِ إِسْرَائِيلَ الْحُلْوِ" (2صم 23: 1)

حلو ليس بمعنى حلو فى منظره فقط لكن يعنى أن ترنيمه كان حلوًا. كان يرنم للرب، كان يسبح تسبيحًا شيقًا جميلاً حلوًا عذبًا. فكان فى موسيقاه يعزف أجمل من كل عازفى بنى إسرائيل. وكان فى أشعاره يتلو شعرًا حلوًا يخلب الألباب، وفى هذا كله كان يمجد الرب، ويرنم للرب، ويغنى للرب أغنية حلوة جميلة تستطيع أن تشفى حتى النفس التى تسلط عليها إبليس.

وامتلأت مزاميره بنبوات عن السيد المسيح وأحداث الخلاص. وكثيرًا ما تكلم داود فى مزاميره كذلك عن الأحداث التى كانت تمر فى حياته الشخصية.. فإن المزمور كان يتفاعل مع اختباراته الشخصية من خلال علاقته مع الله. وليس ذلك فقط بل كان داود راعيًا للخراف.

**داود الراعى الأمين**

كان راعيًا أمينًا للغنم، كان يحب رعيته، ويسهر عليها، ويتعب من أجلها، وعندما هجم أسد ودب على القطيع تصدى لهما وقتلهما هذا الشاب الصغير، الذى كان مكتوبًا عنه إنه "أَشْقَرَ مَعَ حَلاَوَةِ الْعَيْنَيْنِ وَحَسَنَ الْمَنْظَرِ" (1صم16: 12)

ولكن بالرغم من حلاوة منظره؛ كان شجاعًا قويًا ذا بأس، بالرغم من مشاعره المرهفة وإحساسه المرهف كشاعر وموسيقار... لكنه كان مقاتلاً قويًا جبارًا. كان وديعًا كما يقول فى المزمور اذكر يا رب داود وكل دعته، وكان قويًا مثل الأسد. فلما جاء الأسد وخطف إحدى الغنيمات، خرج وثار على الأسد وقتله وخلص الغنم من يديه أو من أنيابه.

كان رمزًا للسيد المسيح فى وداعته، وأيضًا فى قوته بالصليب باعتباره الأسد الغالب الخارج من سبط يهوذا أصل داود (انظر رؤ3: 5).

**داود رجل الصلاة**

لقد وجد الله فى داود صفات كثيرة حسنة؛ صفات الراعى الساهر على رعيته، وصفات رجل الصلاة الذى كان يقضى مع الرب وقتًا طويلاً يصلى ولا يشبع من الصلاة، لا يمل منها، ولذلك يقول داود النبى نفسه "محبوب هو اسمك القدوس يا رب فهو طول النهار تلاوتي": "كَمْ أَحْبَبْتُ شَرِيعَتَكَ! الْيَوْمَ كُلَّهُ هِيَ لَهَجِي" (مز119: 97)، "سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي **النَّهَارِ** سَبَّحْتُكَ عَلَى أَحْكَامِ عَدْلِكَ" (مز119: 164)، ويقول له "فِي **مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ** أَقُومُ لأَحْمَدَكَ عَلَى أَحْكَامِ بِرِّكَ" (مز119: 62)، ويقول "سبقت عيناي وقت السحر لأتلو في جميع أقوالك**":** "تَقَدَّمَتْ عَيْنَايَ الْهُزُعَ لِكَيْ أَلْهَجَ بِأَقْوَالِكَ" (مز119: 148).. ما هذا كله يا داود؟!!

فى النهار يصلي، وفى الليل يصلى، بل أكثر من هذا يقول: "كنت أذكرك على فراشى، وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك": "إِذَا ذَكَرْتُكَ **عَلَى فِرَاشِي** فِي السُّهْدِ أَلْهَجُ بِكَ" (مز63: 6).. يملأ الدنيا صلاة؛ يصلى فى النهار مرارًا كثيرة، ويصلى فى الليل، ويصلى فى الأسحار، ويصلى فى وقت الفجر وفى الصباح الباكر فيقول كما أسلفنا "لأتلو فى جميع أقوالك"، "سبقت عيناي وقت السحر"ويصلى حتى وهو نائم فيقول "كنت أذكرك على فراشى وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك". مثل هذا الإنسان رمزيًا يستطيع أن يقول: "أَمَّا أَنَا فَصَلاَةً" (مز109: 4) وهى العبارة التى تنطبق بصفة مطلقة على السيد المسيح الذى كان هو الكاهن وهو الذبيحة بآن واحد.

**أما أنا فصلاة**

"أَمَّا أَنَا فَصَلاَةً" أى حياته كلها صلاة بالرغم أنه فى وقت من الأوقات كان هو الملك، وكان هو قائد الجيش وكان هو قاضى القضاة. كان هو المسئول عن كل شيء فى المملكة ولكن بالرغم من هذا كله كان يقول: "وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ: أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ وَأَتَفَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ" (مز27: 4).

بالرغم من كل هذه المشغوليات لكن أقصى أمنية له أن يسكن فى بيت الرب ويتفرس فى هيكله المقدس. وأكثر من هذا يقول: "اخترتُ لنفسى أن أُطرح على عتبة بيت الرب إلهى أفضل من أسكن فى مظال الخطاة": "اخْتَرْتُ الْوُقُوفَ عَلَى الْعَتَبَةِ فِي بَيْتِ إِلَهِي عَلَى السَّكَنِ فِي خِيَامِ الأَشْرَارِ" (مز84: 10)، أن أجلس على عتبة بيت الرب أفضل من أن أجلس فى وسط مجلس المستهزئين أو فى مظال الخطاة، ويقول: "مَا أَحْلَى مَسَاكِنَكَ يَا رَبَّ الْجُنُود ِتَشْتَاقُ بَلْ تَتُوقُ نَفْسِي إِلَى دِيَارِ الرَّبِّ. قَلْبِي وَلَحْمِي يَهْتِفَانِ بِالإِلَهِ الْحَيِّ. اَلْعُصْفُورُ أَيْضًا وَجَدَ بَيْتًا وَالسُّنُونَةُ عُشّاً لِنَفْسِهَا حَيْثُ تَضَعُ أَفْرَاخَهَا مَذَابِحَكَ يَا رَبَّ الْجُنُودِ مَلِكِي وَإِلَهِي. طُوبَى لِلسَّاكِنِينَ فِي بَيْتِكَ أَبَدًا يُسَبِّحُونَكَ" (مز84: 1-4)

وأعجب ما فى الأمر هو أن داود النبى عندما قال هذا الكلام كان بيت الرب هو خيمة الإجتماع، لأنه لم يكن هيكل سليمان قد بُنى بعد!! عندما قال: أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى كان بيت الرب مجرد خيمة!!.

نحن نفهم بالطبع أن هذه العبارات نبوات ستتحقق فى شخص السيد المسيح الذى صعد إلى الهيكل السمائى أى المسكن الذى نصبه الرب لا إنسان ودخل إلى هناك كسابقٍ للبشرية المفتداه، وجلس عن يمين أبيه الصالح.

**داود قلب ينبض بالحب**

لقد اختار الرب داود لأن قلبه كان يحب الله بصورة عجيبة جدًا، فعندما يجد روح الرب الذى هو روح الحب الإلهى قلبًا مفتوحًا لمحبة ربنا ينجذب نحوه، قلبًا متجهًا كله نحو محبة الله. لا يريد مملكة، ولا جاه، ولا سلطان، ولا جيش، ولا عظمة، ولا خدم، ولا حشم. يقول لله: هل يوجد مُلك أفضل من أن تكون أنت يارب ساكنًا فى حياتى؟ وأن روحك القدوس يملأنى فرحًا وعزاءً؟ وأنا بين ذراعيك أظهر أننى فى أعظم مملكة. إنه إرهاص نبوى عن العهد الجديد.

**اخرجى على آثار الغنم**

**ربما يتساءل البعض ما لى وحياة داود وهل أنا داود؟.. ونجيبهم بأن رجال الله القديسين هم لنا كوسائل إيضاح أو كعينات من تعامل الله مع البشر. فإن كان الله قد سمح لداود أن يمر فى حياته بهذه الاختبارات لتكون الأحداث مع المزامير نغمات تعبِّر عن حياة النفس البشرية.** **وأقوال وانفعالات تعبِّر عن طبيعة كفاح النفس خلال رحلة غربتها على الأرض حتى تصل إلى الأبدية. لم تكن أحداثًا مصادفة فى حياة داود وأمثاله... إنما كانت عبارة عن تدبير إلهى محكم فى معاملات الله معه. ومن خلال هذا التدبير الإلهى يقدِّم لنا خبرات تصلح لحياتنا الروحية فى كل زمان.**